ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Rese. Ali Gali Kazim

Dr. Ra'ad Karim Hassan Al-Dulfi

Wasit University, College of Education for Humanities

Email:
lyg11061@gmail.com
Raadkareem@uowasit.edu.iq

Keywords:

intentionality ،Tyranny Discourse ,the Holy Qur'an ،textual

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 2. Sep 2025

Accepted 5. Oct.2025

Published 25. Aug.2026

The Purposefulness of Tyranny Discourse in the Holy Quran: A Textual Study

A B S T R A C T

Intentionality is one of the fundamental pillars that contribute to textual coherence ،whereby the speaker relies on a rhetorical strategy that is consistent with their intention and appropriate for effectively conveying meaning. In this research ،I sought to explore the concept of intentionality and its related textual relationships between the sender ،the receiver ،and the discourse. I also attempted to employ some of the principles associated with this concept to analyze religious texts ، focusing specifically on a group of Quranic verses that deal with the term "tyranny" from an intentional perspective ،with the aim of highlighting the role of intentionality in enhancing textual coherence within these verses. To achieve this goal ،I drew on what exegetes and rhetoricians have said about these surahs ،seeking to reconcile modern linguistic concepts with the applications of exegetes ،without imposing meanings or concepts on the Qur'anic text that are inconsistent with its original intentions. The importance of this research lies in linking modern linguistic research methods to the analysis of the Qur'anic text ،thereby contributing to the enrichment of textual studies from a renewed scientific perspective that is in harmony with the specificities of the sacred text.

© 2026 EDUJ ،College of Education for Human Science ،Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol64.Iss2.4790

القَصديَّة في خِطاب الطُّغيان في القرآنِ الكريم دِراسة نَصِّيَّة.

الباحث: علي غالي كاظم أ.م.د. رعد كريم حسن الدّلفيّ

جامعة واسط ـ كُلِّيَّة التربية للعلوم الإنسانية

الملخَّص:

تُعدُّ القصديَّة إحدى الركائز الجوهرية التي تُسهم في تحقيق التماسك النَّصِّي، إذ يعتمد المتكلّم على استراتيجية خِطابية متوافقة مع قصده، ومناسبة لنقل المعنى بشكل فعّال .وفي هذا البحث، سعيتُ إلى استكشاف مفهوم القصديَّة وما يتّصل به من علاقات نصِّيَّة تربط بين المُرسِل، المتلقِّي، والخِطاب .كما حاولت توظيف بعض الأسُس المرتبطة بهذا المفهوم لتحليل النصوص الدينية، محدِّدًا تركيزي على مجموعة من السّور القرآنية التي تتناول لفظة "الطُّغيان "من منظور

قصدي، بهدف تسليط الضوء على دور القصديَّة في تعزيز التماسك النَّصِّيّ داخل هذه السّور .لتحقيق هذا الهدف، استعنتُ بما أورده علماء التفسير والبلاغة حول تلك السّور، ساعيًا إلى مواءمة بين المفاهيم اللّغوية الحديثة وتطبيقات المفسّرين، دون أنْ أُحمّل النَّصّ القرآني دلالات أو مفاهيم لا تتماشى مع مقاصده الأصلية .وتكمن أهميّة هذا البحث في ربط مناهج البحث اللّغوي الحديثة بتحليل النَّصّ القرآني، مُسهمًا بذلك في إثراء الدراسات النَّصِّيَّة من منظور علمي متجدّد ومتناغم مع خصوصيات النَّصّ المقدّس.

الكلمات المفتاحية: القصديَّة، خِطاب الطُّغيان، القرآن الكريم، دراسة نَصِّيَّة.

المُقدَّمة:

القصديَّة هي خاصِّيَّة أساسية تميّز العقل الإنساني، إذ تتجلّى في توجهه نحو أشياء معيَّنة، وفي انتباهه لها وتُمثّلها والتعبير عنها .ترتبطُ القصديَّة بالرغباتِ والمعتقدات التي تمثل بدورها جوانب من القصدِ العقلي .وبالتالي، تشير القصدية إلى النِّيَّة أو العزم على القيام بفعلٍ ما، إذ تعبّر عن انشغالِ العقل أو الذهن بشيءٍ محددٍ في الواقع. كما تعكس قدرة العقل على توجيه نفسه نحو موضوعات معينة أو تمثيلها .التمثيل هنا يُعدُّ الوظيفة الجوهرية لعقلنا، ففي عملية التفكير والاعتقاد والتمثيل، يعمل العقل على محاكاة العالم وفهمه، وهذا هو ما يجعل حالاتنا الذهنية أو العقلية ذات طابع قصدي.

مشكلة البحث :

يتناول هذا البحث إشكالية تحليل الخِطاب القرآني الموجّه للطُّغاة ، مع التركيز على مفهوم "القصديَّة" الذي يُعدُّ مفتاحًا لفهم طبيعة الخطاب وأهدافه وتأثيراته .ورغم وجود العديد من الدراسات حول قصص الطُّغاة في القرآن، إلّا أنَّ تناولها من زاوية القصديَّة يظل محدودًا .يسعى البحث إلى الإجابة عن أسئلة جوهرية تتعلَّق بكيفية صياغة الخِطاب القرآني لمواجهة الطُّغيان، وما هي النوايا التي تقف وراء هذا الخِطاب، وكيف تتجلَّى القصدية من خلال استعمال الأساليب اللّغوية والبُنى الخطابية التي تُقنع وتُهدّد وتُفكّك ادّعاءات الطّغاة. كما يهدف إلى الكشف عن آليات ترسيخ قيم الحقّ والعدل ضمن هذه النصوص.

أهميَّة البحث :

يتّضح مكانة هذا البحث من خلال تسليطه الضّوء على مفهوم "القصديَّة" باعتباره أداة محورية في تحليل الخطاب، تحديدًا في السِّياق القرآني الذي يُوجّه رسائله للطغاة ويكشف طبيعة مُمارساتهم وأساليب التّصدِّي لهم .وتشكّل القصديَّة البُعد التواصلي الذي يُعبّر عن نيَّة الخِطاب وأهدافه، سواء تعلَّق الأمر بالتحذير، الردع، التفنيد والوعظ .يسعى البحث، من خلال دراسة القصديَّة في خِطاب الطُّغيان، إلى توضيح الطريقة التي يُستعمل بها القرآن الكريم اللّغة بشكل مُمنهج وموجّه، مع توظيف الأساليب البلاغية والحُجج العقلية لإحداث تأثير نفسي وفكري على المتلقِّي، سَواء كان ذلك الشخص الطَّاغية نفسه أو الجمهور المستمع للرسالة .إضافةً إلى ذلك، تتمثّل أهميَّة البحث في كشف الهيكل الحجاجي للخِطاب القرآني وكيف تُستثمر القصديَّة لتفكيك خِطاب الطُّغاة، وتفنيد ادعاءاتهم الكاذبة، وتعزيز قيم الحقّ والعدل. ومن خلال هذا النهج، يفتح البحث أُفقًا جديدًا لفهم النَّصّ القرآني عبر منظور تداولي يُركّز على النيَّة والمقصد والجوانب التفاعلية للغة.

الفصل الأوّل: القصديَّة.

القَصديَّة لُغةً :

القصد في المعاجم العربية القديمة يحملُ أكثر من معنى لغوي، وسنركّز في هذا البحث على الدِّلالة التي تتَّصل بما نهدف إلى تناوله. يذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ):"ق ص د، ص د ق : يُستعملان فقط، قَصَدَ، القصدُ، استقامة الطَّريق"(الفراهيدي، ١٩٨٨م ,٣٤٥/٣). وذكر الجوهري(٣٩٣هـ) :" القصد: إتيان الشيء، تقول: قصدتُهُ، وقصدتُ له، وقصدتُ إليه بمعنى"(الجوهري، ١٩٨٤م، ١/ ٤٤٢). ويتبيَّن ممّا سبق أنَّ القصد اشتمل على المعاني التالية: تشمل المعاني استقامة الطريق، الاعتماد، الإتيان بالشيء، والتوجّه نحو الهدف .كما وردت في "لسان العرب": يُطلق على الشعر الكامل اسم" قصيدة "لأنَّ الشاعر ينظّمها بوعي وتفكير مقصود، فيأتي بها من عقله بعد تأمُّل وتخطيط وليس مجرد أفكار عابرة خطرت في باله فجأة وتركت أثرًا على لسانه. بل إنَّه يعبِّر فيها عن ما جال في خاطره ويسعى بجهد لتهذيبها وتحسينها، فلا تكون وليدة الصّدفة أو عملًا سريعًا غير متعمّد(ابن منظور,١٩٩٤م، ٣/ ٣٥٤). وفي هذا الموضع، يتقارب المفهوم مع المعنى اللّغوي للنيَّة، حيث تشير النيَّة إلى ما يعزم الإنسان في قلبهِ على فعلهِ، سواء كان خيرًا أو شرًّا، دون أي تردّد,(الفراهيدي، ١٩٨٨م، ٨/ ٣٩٤).

القصديَّة اصطلاحًا :

قد أشار النُّقَّاد والبلاغيُّون العرب إلى مصطلحات عديدة تعبِّر عن مفهوم الـ"قصد"، وقد تناول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) هذا المعنى في سِياق حديثه عن القصديّة: "الغاية التي إليها يجري القائل والسَّامع، إنَّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٦٠). وابن فارس (ت٣٩٥هـ) يُحدِّد المعنى بالقصد، حيث يقول: المعنى هو القصد (الرّازيّ، ١٩٩٧م، ١٩٢، هدى يعقوب,٢٠٢٤,١٢٨).

يوضّح أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) أنَّ المعنى والقصد مرتبطان بمراد المتكلّم، إذ يذكر: أنَّ المعنى هو القصد الذي يُوجّه القول نحو جهة معينة دون أخرى .كما يشير إلى أنَّ معنى الكلام في اللّغة قد يكون ما يرتبط به قصد المتحدّث (أبوهلال العسكري، ٣٢-٣٣)، في سِياقٍ آخر، يشير إلى مجموعة من المرادفات التي تعبِّر عن معنى القصد، موضّحًا ذلك بكلمات تحمل دِلالات مشابهة ومكملة:" المعنى هو القصد ... والغرض هو المقصود بالقول أو الفعل ... وسمِّي غرضًا تشبيهًا بالغرض الذي يقصده الرَّامي بسهمه وهو الهدف"(أبو هلال العسكري، ٣٥).

يرى الراغب الأصفهاني (ت 503هـ) وجود علاقة وثيقة بين معياري القصد والتقبّليَّة، حيث يذكر: أنَّ الأمر يتطلَّب أن يقصد القائل شيئًا معينًا ويُعبِّر عنه بطريقة حقيقية تضمن قبول المقول له لذلك المعنى (الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢م، ١٤٥).

وقد عرَّفها جون سيرل أيضًا من خلال قوله: هي تلك الخاصِّيَّة لكثير من الحالات والحوادث العقليَّة التي تتّجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلَّق بها(صلاح إسماعيل، ٢٠٠٧م، ٢٢٩). والقصديَّة وفقاً لهذا التعريف تتمثّل في الاعتقادات والرغبات التي تنبع من داخل الإنسان، وتُترجم إلى أفعال ملموسة في الواقع .بناءً على ذلك، فإنَّ كل ما يحدث في العالم تحكمه قصديَّة دفعت إلى حدوثه .وبالنظر إلى مفهوم الحالات القصديَّة عند جون سيرل، فهي تلك الحالات التي تحمل مضموناً يشير إلى شيء أو موضوع محدَّد، وتظهر ضمن إطار نفسي معيَّن يحدِّد اتجاهها ومطابقتها .هذه الحالات ذات طبيعة قصديّة باطنية، نظرًا لأنَّها تمثّل أفعالًا عقلية نابعة من التفكير. ويُعدُّ العقل

المصدر العميق الذي تستمد منه أشكال القصديَّة الأخرى، مثل قصديَّة الصُّور، الرموز، واللغة (صلاح إسماعيل، ٢٠٠٧م، ٢٢٩).

بناءً على هذا التعريف، يمكن إيجاد علاقة بين القصديَّة والنيَّة، حيث يرى هوسرل أنَّها "علاقة إحالة بين الوعي أو أفعال الوعي وموضوعات الوجود الخارجي"(مجدي عرفة، ٢٠١٠م، ٥، وشن دلال، ٢٠١٠م,١٠)، كل فعل إنجازي في الواقع يحمل قصدًا داخليًّا يُحيل إليه، وهذا ما دفع (سيرل) إلى الرَّبط بين قصديَّة الأفعال العقليَّة وقصديَّة الأفعال الكلاميَّة .بناءً على ذلك، قسّم القصديَّة إلى نوعين :قصديَّة باطنية وقصديَّة مشتقَّة. القصديَّة الباطنيَّة أو "الأصليّة "لا تخضع لملاحظ خارجي، مثل الرغبات والمعتقدات، حيث إنَّها تمثيلات عقلية تنبع من ذواتنا وتبقى مستقلّة عن أي تدخل خارجي .في المقابل، القصديَّة المشتقَّة تعتمد على وجود الملاحظ، كما هو الحال مع قصديَّة اللّغة التي ترتبط بالتفاعل مع الآخرين,(صلاح إسماعيل، ٢٠٠٧م، ٢٣١– ٢٣٢)، ربط (دي بو جراند) بين مفهوم القصد والنَّصِّيَّة، حيث عدَّ القصد أحد المعايير السَّبعة للنَّصِّيَّة .ويرى أنَّ النَّصِّيَّة لا تتحقَّق إلّا من خلال تميُّز النَّصّ بعنصريّ الاتِّساق والتماسك، وقد عرَّفها على النحو التالي: "يتضمَّن موقف مُنشئ النَّصّ من كون صورة ما من صور اللّغة؛ قُصد بها أنْ تكون نصًّا يتمتَّع بالسَّبك والالتحام، وأنَّ مثل هذا النَّصّ وسيلة من وسائل متابعة خطَّة معيَّنة ؛ للوصول إلى غاية معيَّنة"(روبرت دي بو جراند ,١٩٩٨م، ١٠٣)، على منتج النَّصّ أنْ يقدّم للمتلقِّي محتوى يتَّصف بالترابط والتكامل، يحقّق من خلاله أهدافه بفعالية عبر انتقاء الوسائل اللّغوية المناسبة لتحقيق ذلك(بدرية بنت محمد الجعيد,٢٠٢٣م، ٣٤٨). بناءً على التعريفات المذكورة سابقًا، يمكننا الوصول إلى تعريف شامل لمفهوم القصد .يتمثّل القصد، أو القصديَّة، في الغاية التي يسعى المتحدّث إلى إيصالها إلى المتلقِّين، إذ تكون متوارية خلف ستار اللّغة أو في ذهن المتحدّث .ويُستدل على هذا القصد من خلال النظر إلى حالة المتحدّث، وسِياق الكلام وظروفه المناسبة، ثمَّ فك رموز ذلك الخطاب لفهم مضمون القصد والوقوف على المعنى الذي يرمي إليه المتحدّث (مناء الغامدي، ٢٠٢٣م، ١٦٩١).

والقصديَّة تُعرَّف ضمن هذا السِّياق كما طرحها بعض الباحثين في علم النُّصوص، إذ يرى "فان دايك "أنَّ الكلام يجب أنْ يحمل إنجازًا ملموسًا، بمعنى أنْ يكون الهدف منه واضحًا ومُدركًا لدى المتلقِّي .ووفقًا لذلك، يُعدُّ أي فعل لغوي ناجحًا إذا استطاع المخاطب أنْ يستوعب قصد العبارة .عندما يكون للمتكلِّم غاية محدّدة، يتوجَّب على المخاطب أنْ يبني فهمه استنادًا إلى تلك الغاية(فان دايك، ٢٠٠٠م، ٢٦٦) ، ممّا يؤكِّد ضرورة إدراك المخاطب للهدف الذي يسعى المتكلِّم لإيصاله .وبناءً على ذلك، يتَّضح أنَّ القصديَّة تمثّل معيارًا جوهريًا في تكوين النُّصوص؛ فهي تعمل على مزج الخطاب بالمؤلِّف وكل ما يحيط بالنَّصّ من سياقات .ومن هنا، يمكن القول إنَّ جميع النصوص تتَّسم بعنصر القصديَّة، سواء كانت واضحة ومباشرة أو ضمنية مستترة، ويُعبَّر عنها عبر استخدام أساليب لغوية متنوعة تُثري النَّصّ وتُضفي عليه عمقًا إضافيًا(هدى يعقوب، ٢٠٢٤م، ١٣٠).

القصديَّة في القرآن الكريم :

يظهر أنَّ الخطاب القرآني: يقوم النَّصّ القرآنيّ على إرساء مفهوم القصديَّة بشكل متكامل، ممّا تطلّب إنشاء نظام لغوي فريد قادر على استيعاب المحتوى الشّامل وتلبية احتياجات التبليغ والإقناع، مع التركيز على استقصاء الأهداف الربَّانية .كما استوجب ذلك تطوير آليات خاصَّة تنقل الرؤية القصديَّة الشاملة بأسلوب محكم وفعّال (هناء محمود، ١٩٧١م، ١٧٠)

الفصل الثاني :

الجانب التطبيقي لآيات الطُّغيان في القرآن الكريم:

أنَّ مفهوم القصديَّة لم يكن وليد اكتشاف علماء اللّغة فحسب، بل أنَّه قد وردت إشارات عديدة حوله في كتب التراث، مثل ما أُورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ {الأنعام ١١٠}، المقصود من هذه الآية هو تأكيد ما ورد في الآية السّابقة، وهو أنَّ تلك الآيات المعجزة، حتى لو ظهرت لهم، لن تؤدّي إلى إيمانهم أو استفادتهم منها بأيّ حال .الكعبي ردَّ على هذا بقوله إنَّ معنى ﴿ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهم وأبْصارَهُمْ﴾ يُشير إلى أنَّ الله لا يمنحهم ما يمنحه للمؤمنين من البركات واللطف الإلهي وكفرهم أخرجهم عن هذا الاستحقاق، في قوله تعالى :﴿ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأبْصارَهُمْ﴾، يتَّضح المعنى الواضح الجلي الذي يوافق الفطرة السليمة والعقل المستقيم، دون الحاجة إلى التأويلات المتكلّفة التي لا تخلو من التكلّف. ومِمّا يُلاحظ في ترتيب الآية أنَّ الله سبحانه وتعالى قدَّم ذكر تقليب الأفئدة على تقليب الأبصار، لأنَّ القلب هو موضع الدوافع والصَّوارف. فإذا كانت هناك دوافع في القلب، انحاز البصر إليها بشكل طبيعي، وإذا وجدت صوارف، انصرف البصر عنها، وحتّى لو بقيت الرؤية الظاهرة، فإنَّها لا تؤدّي إلى إدراك الفوائد المرجوّة . هذا التفسير يتأيَّد أيضًا بقوله تعالى: ﴿ومِنهم مَن يَسْتَمِعُ إلَيْكَ وجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وفي آذانِهِمْ وقْرًا﴾ {الأنعام: ٢٥} .فالقلب هو المعدن الأساسي لاستيعاب الحقائق، أما السَّمع والبصر فهما أدوات تخدم القلب وتتبعه .لذا جاء ترتيب الآيات بالإشارة أولًا إلى تقليب القلوب ثم الأبصار في السِّياق السابق، بينما في الآية الأخرى أُبتدئ بتحصيل الكنان في القلب ثم تلاه ذكر السّمع .هذا الترتيب الدقيق يحمل دِلالة عقليَّة قويَّة ومنطقيَّة تتَّفق تمامًا مع لفظ القرآن ومقصده، حيث تظهر الحكمة في تقديم ما يؤثّر مباشرة في دوافع الإنسان ومواقفه على ما هو تبعي من الأفعال المرتبطة بالحواس كالسّمع والبصر، (الرّازيّ,٢٠٠٠م، ١١٠)، القصد يتغيَّر بناءً على تغيّر الكلام واختلاف الظروف، فالأمر يتعلَّق باللّغة باعتبارها أداة استعمال، وهذا الاستعمال هو ما يؤدّي إلى تغيّر المقاصد.

يقول ابن عاشور في تفسير سورة {الأنعام ١١٠} : المعنى يتناول مسألة تقليب أفئدة هؤلاء الذين عصوا وكابروا، مِمّن لم يصدِّقوا بالقرآن حين تحدَّاهم أوّل مرّة .يتم تصوير تقليب أفئدتهم وأبصارهم كعقاب مُستدام، حيث تنحرف أفكارهم وحواسّهم عن طريق العقل السليم والرؤية الصائبة. هذا العقاب يمثّل جزاءً لهم على تجاهلهم للنظر في أمور الله تعالى والرسالة التي جاء بها رسوله، إلى جانب تعجّلهم في التكذيب دون التأمُّل الجَّاد والموضوعي .تقديم الأفئدة على الأبصار يأتي لدِلالته على العقل الذي يُعدُّ مصدر الدوافع والاختيارات. فالقلب، الذي يحمل معاني العقل، هو الذي يوجّه الحواس للتفاعل مع الأمور عندما تتكشَّف إشارات الاستدلال. والجمع بين الأفئدة والأبصار يوضّح دور كل منهما في الإدراك؛ حيث تختصّ الأفئدة بفهم الآيات العقلية المحضة، مثل آية الأميَّة والإعجاز، بينما الأبصار تساهم وفق ما تتطلَّبه إشارات هذه الحالات (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٧/ ٤٤٣)، وهذا ما تناوله صلاح فضل عند نقاشه حول مفهوم القصديَّة، ذ يعبّر عن ذلك بقوله: "إنَّ القصديَّة هي الكلام المقصود في ذاته، هي اللّغة عندما تصبح هدفًا فنِّيًّا محدَّدًا؛ وليست مجرَّد وسيلة للتواصل تحترق بانتهائه"(صلاح فضل، ١٩٩٥م، ٢١٨). هناك بُعدٌ تواصليٌّ للّغة يمتدّ ويتجاوز انتهاء العمليّة التَّواصلية.

والقصديَّة تهدف إلى أنْ يكون النَّصّ محكم البناء ومترابطًا، بحيث يتكامل مع بقيَّة الوسائل لتحقيق الغاية النَّصِّيَّة المرجوّة . ومن هذا المُنطلق، تُعَدّ القصديَّة إحدى الأدوات المساهمة في تعزيز اتِّساق النَّصّ وانسجامه (هدى يعقوب، ٢٠٢٤م، ١٢٩). يستخلص الباحث من هذه التَّفاسير أنَّ القصديّة في هذه الآية تظهر بوضوح من خلال بنائها المتماسك، حيث يتناغم ترتيب الألفاظ والمعاني لتخدم الغاية التحذيرية بشكل دقيق، وتعبّر عن سُنّة إلهية في التعامل مع من يصرّون على الكفر. هذا المعنى يتم إيصاله بطريقة تعطّل أدوات الإدراك الواعي لديهم، بدءًا من القلب وصولاً إلى العين .إنها مقصديّة

تتسم بتعدد الأبعاد، تجمع بين العمق التعبيري، والمعنى المُراد، والأبعاد العقائدية، مما يُعزّز تناسق النَّص وانسجامه على مستوى التركيب والجمال البلاغي.

ومِمّا جاء في الآية الكريمة عن المقصد أو القصديَّة: قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَ ٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾**﴾ **{الحاقة ١١-١٢}** "﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ﴾ أَيِ ارْتَفَعَ وَعَلَا. وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طَغَى عَلَى خُزَّانِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ غَضَبًا لِرَبِّهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حَبْسِهِ. قَالَ قَتَادَةُ: زَادَ على كل شي خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: طَغَى الْمَاءُ زَمَنَ نُوحٍ عَلَى خُزَّانِهِ فَكَثُرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْرُوا كَمْ خَرَجَ. وَلَيْسَ مِنَ الْمَاءِ قَطْرَةٌ تَنْزِلُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا بِكَيْلٍ مَعْلُومٍ غَيْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَقَدْ مَضَى هَذَا مَرْفُوعًا أَوَّلَ السُّورَةِ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ قَصَصِ هَذِهِ الْأُمَمِ وَذِكْرِ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ: زَجْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ. ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِأَنْ جَعَلَهُمْ ذُرِّيَّةَ مَنْ نَجَا مِنَ الْغَرَقِ بِقَوْلِهِ: حَمَلْناكُمْ أَيْ حَمَلْنَا آبَاءَكُمْ وَأَنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ"(القرطبي، ١٩٦٤م، ١٨/ ٢٦٣).

قال ابن كثير: ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ أي زاد عن الحدّ المعتاد بمشيئة الله، حتّى ارتفع فوق كل الموجودات .وقد ورد عن ابن عباس وغيره أنَّ ﴿طَغَى الْمَاءُ﴾ يعني كثُر، وكان ذلك استجابة لدعوة نبيّ الله نوح عليه السلام على قومه الذين كذَّبوه ولم يستجيبوا لدعوته، بل عبدوا غير الله .فأجاب الله دعاء نوح وأرسل الطّوفان ليعم أهل الأرض جميعاً، عدا الذين كانوا مع نوح في السّفينة .وهكذا بقي نسل البشرية واستمر من ذريّة نوح عليه السلام وأبنائه . ورُوِي عن ابن جرير أنَّه قال :حدّثنا ابن حميد، حدّثنا مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان، نقلاً عن أكثر من واحد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال :لم تكن قطرة ماء تنزل إلّا بمقدار مُحدّد بأمر الله على يد ملكٍ، ولكن في زمن نوح أُذن للماء بالخروج دون حساب أو خزائن، فطغى الماء على كل حسابٍ وخرج للفيضان. وهذا تفسير للآية الكريمة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ التي تشير إلى حمل الناجين في سفينة نوح عليه السلام حمايةً لهم من هلاك الطوفان (ابن كثير الدمشقي، ٢٠٠٠م، ١٤/ ١١٣).

من الآية الكريمة يمكن استنباط المعنى المقصود أو الغاية التي تشير إليها كلمات الله تعالى، إذ تحمل في طياتها رسالة واضحة توضيحًا للهدف المرجو وبيان الحكمة الإلهية، قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ {البقرة ١٥} جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾ ورد فيه ثلاثة تفسيرات :الأوّل، أنَّ العقوبة تُسمّى باسم الذنب نفسه، كما في الآية ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾{آل عمران: ٥٤} .الثاني، أنَّه يعني إمهالهم وإفساح المجال لهم، وهو ما يدعمه قوله تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾. والثالث، أن الله يفعل بهم في الآخرة ما يُظهر لهم وكأنّه استهزاء، كما ورد في سورة الحديد:{١٣} ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُوراً﴾ .أمَّا ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ فورد له تفسير أيضًا بأنَّه إمّا يزيدهم في غيّهم وضلالهم، أو يملي لهم في أعمالهم، وقد أشاروا كذلك إلى أنَّهم يعمهون، أي يتمادون في الحيرة والضلال(ابن جزي الغرناطي,١٩٩٦م، ١/ ٧٢).

وفي تفسير آخر في سورة {البقرة ١٥}، لبيان القصد والقصديَّة: "{الله يستهزئ بِهِمْ} أي يجازيهم على استهزائهم فسمَّى جزاء الاستهزاء باسمهِ كقوله تعالى وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمَّى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتدوا وإنْ لمْ يكن الجّزاء سيئة واعتداء وهذا لأنَّ الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجّاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف في غاية الجّزالة والفخامة وفيه أنَّ الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذّل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنَّما نحن مستهزئون "(النسفي، ١٩٩٨م، ١/ ٥٣). من خلال قراءة كل تفسير على حده تبيَّن لي أنَّ المقصود من الآية فهي تعكس عدل الله وحكمته في التعامل مع المنافقين، إذ يواجه خداعهم ومكرهم بعقاب يتوافق مع

أفعالهم في الظاهر، بينما يحمل في جوهرهِ عدلًا إلهيًّا. وفي الوقت ذاته يمنحهم فرصة للاستمرار في الضّلال، مِمّا يجعل عقابهم لاحقًا أشد وقعًا وأكثر استحقاقًا.

كما يظهر عند قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [المؤمنون ٧٥]، "والمَعْنى: لَوْ كَشَفَ اللهُ عَنْهم هَذا الضُرَّ وهو القَحْطُ الَّذِي أصابَهم بِرَحْمَتِهِ لَهم ووَجَدُوا الخِصْبَ ﴿لَلَجُّوا﴾ أيْ: لَتَمادَوْا ﴿فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَتَرَدَّدُونَ يَعْنِي: لَعادُوا إلى ما كانُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِكْبارِ وعَداوَةِ رَسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) والمُؤْمِنِينَ ولَذَهَبَ عَنْهم هَذا التَمَلُّقُ بَيْنَ يَدَيْهِ"(النسفي، ١٩٩٨م، ٢/ ٤٧٦).

المراد بالمعنى في هذا السّياق هو القصد، وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري عندما تناول العلاقة بين المعنى والقصد في حديثه: المعنى هو الغاية التي يتحقَّق بها القول في سِياق محدَّد دون آخر، وبالتّالي يصبح معنى الكلام هو ما يرتبط بذلك القصد؛ والمعنى الذي أراده المتكلِّم يتجلىّ في اعتبار "المعنى "و"الغرض "و"الهدف "مترادفات تدلُّ جميعها على القصد. فهو يُعرّف المعنى بالقصد، ويوضّح أنَّ الغرض هو ما يُقصد إليه عبر الكلام .وقد شبَّه الغرض بالهدف الذي يسعى الرّامي لإصابته بسهمه لإبراز معنى التركيز والنيَّة الموجهة نحو تحقيق المقصود(أبو هلال العسكري، ٣٣).

كذلك يمكن أن يُفهم من القول معنى مختلف عن المقصود الفعلي، كما ورد في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا**﴾ جاء في تفسير الرّازي للآية المباركة: "﴿ونُخَوِّفُهم فَما يَزِيدُهم إلّا طُغْيانًا كَبِيرًا﴾ والمَقْصُودُ مِنهُ ذِكْرُ سَبَبٍ آخَرَ في أنَّهُ تَعالى ما أظْهَرَ المُعْجِزاتِ الَّتِي اقْتَرَحُوها، وذَلِكَ لِأنَّ هَؤُلاءِ خُوِّفُوا بِمَخاوِفِ الدُّنْيا والآخِرَةِ وبِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ فَما زادَهم هَذا التَّخْوِيفُ إلّا طُغْيانًا كَبِيرًا، وذَلِكَ يَدُلُّ عَلى قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ وتَمادِيهِمْ في الغَيِّ والطُّغْيانِ"(الرّازيّ، ٢٠٠٠م، ٢٠/ ٣٦٢).

قال الشوكاني: ﴿ونُخَوِّفُهم فَما يَزِيدُهم إلّا طُغْيانًا كَبِيرًا﴾ ونخوّفهم بالآيات بغرض أن يعودوا أو يتَّعظوا، لكنّ ذلك لا يزيدهم إلا تمرّدًا وعنادًا يتجاوز كل الحدود، متأصّلًا في غاية الطّغيان .فلا تأتي هذه الآيات بجديد سوى زيادة الكفر في قلوبهم، وبدل أن يثوبوا إلى رشدهم، يزدادون انغماسًا في الضّلال .وعندما يبلغ طغيانهم حدّه، نعاملهم كما عاملنا الذين سبقوهم من الأمم المكذّبة، بعذابٍ يقتلعهم عن بكرة أبيهم .ومع ذلك، فإنّنا قدّرنا تأخير هذه العقوبة لحكمةٍ بالغة ومقتضى تدبيرٍ عظيم (الشوكاني، ١٩٩٤م، ٣/ ٢٨٤).

من خلال التفاسير نفهم المقصود، أنَّ هناك فئة من الناس عندما تواجه الآيات تزداد عنادًا بدلًا من الاستجابة لها، وأنَّ الإيمان لا ينشأ من الخوف وحده، بل يتطلَّب قلبًا مستعدًّا لتقبّل الحقّ .أمَّا من يفتقر إلى هذا الاستعداد، فلا تفيده النذر ولا تؤثّر فيه الآيات. ارتبط مفهوم المعنى بالقصد لدى أبي هلال العسكري، حيث أشار إلى أنَّ المعنى يتمثّل في القصد الذي يُوجَّه به القول نحو سِياق معيَّن دون غيره .وبالتّالي، يصبح معنى الكلام هو ما يرتبط به القصد بصورة مباشرة ,(أبو هلال العسكري، ٣٢).

يمكننا أن نستدل بوضوح على تأثير القصديَّة من خلال التباين في تفسير الآية الكريمة: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾** ﴾ {الشمس ١١-١٣}، تتناول الآية الكريمة ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها﴾ موضوع تكذيب قوم ثمود لنبيّهم صالح عليه السلام بسبب طغيانهم وتجبّرهم .فالآية تشير إلى أنَّ الطّغيان دفعهم إلى رفض الرسالة .كما أوضَح الفرّاء أنَّ كلمة "بطغواها "تعني طغيانهم، وهي مصدر، وقد اختير هذا التعبير لأنّه يتناسب مع رؤوس الآيات الأخرى في السّياق(الجوزيّ، ٢٠٠٢م، ٤/ ٤٥١)، قال الماوردي في تفسير قوله تعالى :﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها**﴾ إنَّ هناك ثلاثة تأويلات لهذه الآية .الأوّل :أنَّ المقصود هو طغيانها ومعصيتها، كما قاله مجاهد وقتادة .الثاني : أنَّ التفسير هو تكذيبهم جميعًا دون استثناء، وهذا ما أشار إليه محمد بن كعب .الثالث :أنَّه تكذيبهم بسبب العذاب الذي

أصابهم، وقال بذلك ابن عباس .وقد ذكروا أنَّ اسم العذاب الذي حل بثمود كان "الطَّغوى" (الماوردي,١٩٩٢م، ٦/ ٢٨٥). عند اطلّاعنا على التفاسير حيث توضّح لنا أنَّها تُنبّه إلى أنَّ الطّغيان، سواء تَمثَّل في ارتكاب الذّنوب، أو التكبّر الجماعي، أو الشعور بالاستحقاق للعذاب، يُشكّل السّبب الرئيسي وراء رفض الحقّ وتكذيب الرّسل، وهو الأمر الذي أودى بهؤلاء القوم إلى الهلاك.

يرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ القصد في الخطاب يُعدُّ أمرًا بديهيًّا في النَّصّ، حيث يوضّح ذلك بقوله: " وكان مِمّا يعلم ببداهة العُقول، أنَّ النّاس إنَّما يُكلِّم بعضهم بعضًا، ليعرف السّامع غرض المتكلِّم ومقصده"(الجرجاني,٢٠٠٠م، ٥٣)، يشير ذلك إلى وجود ارتباط وثيق بين القصد والمعنى، حيث يمكن اعتبار القصد أساسًا للمعنى المتَّفق عليه في اللغة.

وفي قصّة قوم عاد وثمود، منه قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ**﴾ {الحاقَّة٥}، جاء في تفسير الآية المباركة: "فِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ بِالْفَعْلَةِ الطَّاغِيَةِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ بِالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ، أَيِ الْمُجَاوِزَةُ لِلْحَدِّ، أَيْ لِحَدِّ الصَّيْحَاتِ مِنَ الْهَوْلِ. كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]. وَالطُّغْيَانُ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَمِنْهُ: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ [الحاقة: ١١] أَيْ جَاوَزَ الْحَدَّ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: بِالطَّاغِيَةِ بِالصَّاعِقَةِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِالذُّنُوبِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: بِالطُّغْيَانِ، فَهِيَ مَصْدَرٌ كَالْكَاذِبَةِ وَالْعَاقِبَةِ وَالْعَافِيَةِ أَيْ أُهْلِكُوا بِطُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. "(القرطبي، ١٩٦٤م، ١٨/ ٢٥٨).

قال الزَّجَّاج: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾، فأمَّا قوم ثمود، فقد أبادهم الله بسبب الطّاغية .ووفقًا لأهل اللّغة، يُفسَّر معنى "بالطاغية "على أنه بطغيانهم، حيث إن صيغة "فاعلة "قد تستخدم للدلالة على المصادر مثل "عافية" و"عاقبة". مما يبدو جليًا من سياق الآية –والله أعلم – أن هلاكهم كان نتيجة للرجفة العظيمة والطاغية، تمامًا كما ورد في وصف هلاك قوم عاد بريحٍ مُهلكةٍ وشديدة القوة :﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾. يُطلق على الشيء المُتفوق في شدته وتعاظمه "عاتٍ "أو "عاتية ."وعلى هذا النحو، فإن الطاغية أيضًا وصفت بالشدّة المفرطة .ويدعم هذا الفهم وصف الطغيان المرتبط بالأمور العظيمة في قوله تعالى :﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾، حيث وصف الماء بالطغيان نتيجة لكثرة فيضانه وتجاوزه الحد المعهود . وبالمثل، كان هلاك قوم ثمود بالطاغية التي تجاوزت المعايير الطبيعية في قوتها، والله أعلم(الزَّجَّاج، ١٩٨٨م، ٥/ ٢١٤).

كان القصد من هذه التفاسير لتوضيح المعاني العميقة للآية المباركة، وأنَّها تُبيّن أنَّ قوم ثمود لم يتعرضوا للهلاك دون سبب، بل كان ذلك نتيجة لطغيانٍ عظيم بلغ ذروته، سواء في كفرهم، أو بسبب عقاب شديد حلّ بهم، أو إثر جريمة خطيرة اقترفها أحد أفرادهم وشاركوه في إثمها، وكان مصيرهم الهلاك نتيجة لذلك.

بناءً على ذلك، يستطيع الباحث أنْ يخلص إلى أنَّ الاستعمال الأصولي لمفهوم القصديَّة يرتكز على الهدف من الكلام . فكل كلام يُفترض أنْ يحمل وراءه قصدًا محدّدًا .وبناءً عليه، فإن الفهم الدقيق للكلام يعتمد على تفسيره وفق المعنى الذي وُضع له .لذا، فإن الغاية الأساسية للأصوليين في تحليل الخطاب تتمثّل في الوصول إلى المقصود الحقيقي منه,(منى مسعد,٢٠٢٣م، ٧٧).

تتجلَّى القصديَّة أيضًا من خلال المضمون الكامن في القول عند قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا**﴾{الكهف:٨٠}، قال المفسّرون إنَّ معنى الآية يشير إلى خوف أنْ يدفع حب الوالدين لابنهما إلى اتباعه في دينه، الذي هو الكفر .وهناك تفسير آخر يقول إنَّها تعني الخشية من أن يُرهق الابن والديه بطغيانه عليهما وبكفره بنعمتهما عبر عقوقه (القنوجي، ١٩٩٢م، ٨/ ٩٢).

جاء في تفسير الرَّازي: "وقَوْلُهُ :﴿فَخَشِينا أنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانًا وكُفْرًا﴾ الخَشْيَةُ بِمَعْنى الخَوْفِ وغَلَبَةِ الظَّنِّ، واللَّهُ تَعالى قَدْ أباحَ لَهُ قَتْلَ مَن غَلَبَ عَلى ظَنِّهِ تَوَلُّدُ مِثْلِ هَذا الفَسادِ مِنهُ، وقَوْلُهُ :﴿أنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانًا﴾ فِيهِ قَوْلانِ: الأوَّلُ: أنْ يَكُونَ المُرادُ أنَّ

ذَلِكَ الغُلامَ يَحْمِلُ أبَوَيْهِ عَلى الطُّغْيانِ والكُفْرِ كَقَوْلِهِ :﴿ولا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا﴾ (الكَهْفِ: ٧٣) أيْ لا تَحْمِلْنِي عَلى عُسْرٍ وضِيقٍ وذَلِكَ لِأنَّ أبَوَيْهِ لِأجْلِ حُبِّ ذَلِكَ الوَلَدِ يَحْتاجانِ إلى الذَّبِّ عَنْهُ، ورُبَّما احْتاجا إلى مُوافَقَتِهِ في تِلْكَ الأفْعالِ المُنْكَرَةِ والثّانِي: أنْ يَكُونَ المَعْنى أنَّ ذَلِكَ الوَلَدَ كانَ يُعاشِرُهُما مُعاشَرَةَ الطُّغاةِ الكُفّارِ، فَإنْ قِيلَ: هَلْ يَجُوزُ الإقْدامُ عَلى قَتْلِ الإنْسانِ لِمِثْلِ هَذا الظَّنِّ ؟ قُلْنا: إذا تَأكَّدَ ذَلِكَ الظَّنُّ بِوَحْيِ اللَّهِ جازَ"(الرّازيّ، ٢٠٠٠م، ٢١/ ٤٩١). كان القصد من هذين التفسيرين أنَّ الخضر قَتل الغلام بناءً على أمر من الله تعالى، وذلك لأنَّ هذا الغلام لو استمر في الحياة لكان مآله أنْ يصبح سببًا في إضلال والديه وانحرافهما عن طريق الإيمان .لذا، جاء قتله كرحمة لهما وحماية لهما من الفتنة والطغيان.

والقصديَّة عند دي بو جراند بأنَّها، يُعبّر منتج النَّصّ عن موقفه تجاه استخدام إحدى صور اللّغة كوسيلة للوصول إلى هدف معيَّن، مع التأكيد على ضرورة تحقيق الانسِجام والاتِّساق لضمان خصوصية النَّصّ وصبغته النَّصّيَّة، (روبرت دي بو جراند,١٩٩٨م، ١٠٣). وفي آيةٍ أخرى من آيات الطُّغيان وأثر القصديَّة أو المعنى الحقيقي في قوله تعالى: ﴿**وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩**﴾ {الرحمن ٧-٩}، جاء في تفسير الماوردي، (والسَّماءَ رَفَعَها﴾ أي جَعَلها مرتفعة فوق الأرض، ﴿ووضع الميزانَ﴾ .في تفسير الميزان وردت ثلاثة أقوال :الأوّل أنَّ الميزان هو ميزان العدل المادي ذو اللّسان الذي يستعمله الناس لتحقيق التوازن والإنصاف بينهم في الحقوق، وقد ورد عن الضَّحاك .والثاني أنَّ المقصود بالميزان هو الحكم أي الوسيلة لضبط الأمور وفق قواعد الحقّ .أمَّا الثالث، فقد قال قُتادة ومجاهد والسُّدِّيُّ إنَّ الميزان يرمز إلى العدل بصفة عامَّة، وهو المفهوم الذي يشيع في الشعر، مثلما ورد في قول حسَّان.... ويَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّا بِها إذا التَبَسَ الأمْرُ مِيزانُها(الماوردي,١٩٩٢م، ٥/ ٤٢٤).

قال ابن الجوزي في تفسير الآية المباركة لبيان القصديَّة من قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ المِيزانَ﴾ جاء في تفسيره ثلاثة آراء أساسية .الرأي الأول يُعنى بأنَّ المقصود هو العدل، وهو القول الذي تبنّاه معظم العلماء والمفسّرين، ومنهم مجاهد والسُّدي وجماعة من أهل اللّغة .وبيّن الزَّجَّاج أنَّ هذا التفسير يتماشى مع مفهوم "المعادلة"، أي تحقيق التوازن بين الأمور. أمَّا الرأي الثاني فيُشير إلى أنَّ الميزان هنا هو الميزان المعروف الذي يستخدم لضمان إنصاف الناس في حقوقهم، وهذا القول ورد عن الحسن، وقُتادة، والضَّحاك. أمَّا الرأي الثالث فقد ذهب إلى أنَّ الميزان هنا يُقصد به القرآن الكريم، وهو رأي الحسين بن الفضل (الجوزي,٢٠٠٢م، ٤/ ٢٠٦)، بعد الاطِّلاع على آراء المفسّرين أرى أنَّ القصد من الميزان هو توضيح أنَّ الله قد أوجد نظامًا متكاملًا ومتوازنًا في خلقهِ وتشريعاته، يرتكز على مبدأ العدل في جميع الجوانب، سواء في الكون أو في العلاقات الإنسانية أو في الأحكام الشّرعية. ومن واجب البشر الالتزام بهذا النظام المتوازن وعدم تجاوزه أو الإخلال به. النّصوص القرآنية مليئة بالمقاصد والأغراض والغايات، لذلك فقد تعلَّمنا من القرآن الكريم الشيء الكثير، والقصديَّة واحدة من هذه الأمور التي تكشف لنا ما هو المعنى أو الغاية من النَّصّ القرآني، وهذا الأمر يُساهم بشكل كبير في فهم السِّياق ودوره في الكشف عن القصديَّة ممّا يجعل النَّصّ متماسك ومنسجم. وفي موضع آخر يظهر تأثير الطغيان مرتبطًا بالقصديَّة أو المعنى الحقيقي في قوله تعالى: ﴿**ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤**﴾ **{طه ٤٣-٤٤}**,جاء في تفسير ابن عاشور: "وجُمْلَةُ إنَّهُ طَغى تَعْلِيلٌ لِلْأمْرِ بِأنْ يَذْهَبا إلَيْهِ. فَعُلِمَ أنَّهُ لِقَصْدِ كفِّهِ عَنْ طُغْيانِهِ"(ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٦/ ٢٢٤).

ويرى الباحث أنَّ الغرض من الآية يتمثّل في دعوة فِرعون بأسلوب ليّن، على أمل أنْ يتراجع عن طغيانه، سواء عِبر تذكّره للحقّ أو من خلال خشية الله. وهذا يعكس أنَّ الهدف الأساسي من الدعوة هو الإصلاح وليس التّدمير، وأنَّ استخدام الأسلوب اللّطيف يُعدُّ وسيلة مدروسة لتحقيق هذا الهدف. يُستعمل مصطلح "القصد "أيضًا بمعنى "الغرض"، كما يشير إلى الهدف والغاية، (أبو هلال العسكري، ٣٣),القصد في الدلالة يُعد شرطًا أساسيًّا لدى أهل اللغة العربية، إذ إنَّ ما يُفهم دون قصد المتحدِّث لا يُعدُّ دلالة للفظ في نظرهم .فالدِّلالة لديهم تتمثّل في إدراك المراد من الكلام، وليس مجرَّد فهم المعنى

على إطلاقه (التهانوي,١٩٩٦م، ١/ ٧٩٢)، النَّصّ الذي يفتقر إلى القصد لا يمكن أنْ يصل إلى مستوى الخِطاب، وبالتّالي يفقد عنصر التفاعل الاتّصالي .فالمقاصد تشكّل جوهر العملية التواصلية، (عبد الهادي الشهري، ٢٠٠٤م، ١٨٣).

الخاتمة :

دراسة القصديَّة في خِطاب الطّغيان ضمن القرآن الكريم تُعدُّ مدخلًا عميقًا لفهم جانب من الإعجاز البياني في النَّصّ المقدس .يتجلّى هذا الإعجاز في تأكيد نيَّة الخِطاب الإلهي لمواجهة الطّغيان بمختلف أشكاله، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، السياسي أو الفكري .يكشف البحث أنَّ الخطاب القرآني ليس مجرَّد سرد تاريخي أو عرض لمواقف وقتية، لكنَّه خطاب ذو أهداف مُحدّدة ومقصودة يحمل رسائل ذات دقّة عالية في التأثير والوظيفية .يستثمر القرآن أدوات اللّغة وأسلوبها المتعدّد لتفكيك أسس خطاب الطّغاة، كشف زيف ادعاءاتهم، وتوجيههم عبر الوعظ، التحذير، أو التحدِّي بأسلوب متقن ومدروس .برزت القصديَّة القرآنية في معالجة الطّغيان من خلال بناء الحجاج، اختيار الأساليب اللّغوية، توظيف الحوار، السرد، التكرار، والأمثال وغيرها من الأدوات البلاغية التي تعكس عمق القصد وتعدّد مستويات الاستجابة لدى المتلقِّي .تتجلّى أهميَّة هذا الموضوع من خلال إعادة قراءة النَّصّ القرآني بمنهج تداولي يُبرز النيَّة التواصلية والهدف التوجيهي للخِطاب .يتم ذلك في سِياق يعكس جوهر الصّراع بين الحقّ والباطل، الكبرياء والتواضع، والطّغيان والعدل . يُسهم هذا البحث في تطوير الدراسات القرآنية الحديثة عبر دمج أدوات التحليل اللّغوي التداولي في دراسة النصوص المقدَّسة. بذلك يُتاح مجال لقراءات علمية ترفع مستوى فهم الخِطاب القرآني باعتباره نصًّا مفتوحًا على التأويل القصدي، قادرًا على التأثير في الواقع الإنساني على امتداد التاريخ.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

أوّلًا : الكتب المطبوعة :

- (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، دار الآداب، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، : دار الكتب الجديدة,ط١، ٢٠٠٤م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- تاج اللّغة وصحاح العربية ,مادة (قصد)، إسماعيل بن حمّد الجوهري، تحقيق :أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٤م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور [ت ١٣٩٣ هـ]، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م [١٤٠٤ هـ].
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، أبو القاسم، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد – محمد السيد رشاد – محمد فضل العجماوي – علي أحمد عبد الباقي – حسن عباس قطب، (مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ)، الجيزة – مصر، [وأعادتْ طبعها دار عالم الكتب بالرياض بنفس ترقيم الصفحات]، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان١٩٩٢م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م، وتصحيح : السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطبعة، والنشر والتوزيع، بيروت,١٩٧٨م.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ,أبو الحسين أحمد بن فارس، الرَّازيّ، دار النشر محمد علي بيضون، ط١، ١٩٩٧م.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
- الفروق اللّغوية ,أبو هلال الحسن العسكري، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، مصر.
- فلسفة العقل ,دراسة في فلسفة سيرل، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧.
- لسان العرب مادة (قصد)، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري الأفريقي، القاهرة، الدار المصرية للنشر، مادَّة (قصد).
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزَّجَّاج (ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

- معجم العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح : د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ١٩٨٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، مادَّة (قصد).
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ). دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، حمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨ هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦ م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النَّصّ، د. هناء محمود إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- النَّصّ والخطاب والإجراء ,روبرت دي بو جراند، ترجمة، تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- النَّصّ والسِّياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة، عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدر البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- نظرية علم النَّصّ(رؤية منهجية في بناء النَّصّ النثّري)، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، ط٣، ج١، ٢٠٠٧.

ثانيًا : الرسائل والأطاريح والبحوث المنشورة :

- القصديَّة في أخبار خلفاء ووزراء العصر العباسي، دراسة تداوليَّة ,بدرية بنت محمد الجعيد، د. حسين بن محمد القرني (بحث منشور).
- القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجدي عرفه، نقلًا عن وشن دلال، الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع٦، جانفي، ٢٠١٠.
- القصديَّة وأثرها في توجيه الأحكام النحّوية حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، (أطروحة دكتوراه) .
- القصديَّة والتداولية في قصّة قوم سبأ، د. مناء راجح سعد الغامدي، كلية الآداب والفنون، جامعة بيشة,ج٢، ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م,(بحث منشور).
- معيار القصديَّة في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، دراسو نصِّيَّة، منى سعد محمود عبد العزيز,(رسالة ماجستير).
- الملامح النَّصِّيَّة في كتب تنزيه الأنبياء حتّى نهاية القرن السَّابع الهجري (رسالة ماجستير).
- من لسانيّات الجملة إلى علم النَّصّ، جامعة عنابة، الجزائر، د. بشير إبرير ٢٠٠٥م.(بحث منشور).